

المعاصر ، وفاوست من الاديب القديم ، ورسالة الففسران وحي بن يقظان من التراث العربي القديم . . أي ان فكرة المضمون تكون فلسفية ، وقد تدخل الفلسفة الى العمل الادبي دون ان تكون فكرته فلسفية ، أي ان يتضمن العمل شخصيات فلسفية او متفلسفة بالفعل ، ويتضح ذلك من خلال الحوار والمواقف. ومثال ذلك ال Point Counter Point لالدوس هكسلي . .

وقد تدخل عن طريق أخرى - ليس عن طريق الفكرة أو الشخصيات - وانما عن طريق انعكاسها على النظام الذي يقوم عليه العمل الادبي . . أي في الحكمة نفسها . . ويتضح لنا هذا عندما نتبع الاحداث ومصائر الاشخاص مثلا فيتكشف لنا أن المؤلف يريد أن يقول ان الشخصية تتكون وتتلقى مصيرها نتيجة للبيئة ، فهنا اذن إيمان بالفلسفة المادية التي ترى أن الانسان نتيجة للبيئة والمحيط . . وقد تجد في العمل الادبي مجموعة من المصادفات التي تحدث فواجع معينة - أقصد المصادفات المقصودة وهي غير تلك التي تجري عن سهو من المؤلف - مثل مصادفات توماس هاردي التي تعكس فلسفته في أن الانسان لعبة في يد القدر . . .

فالفلسفة هنا انما تسلت الى العمل الادبي فسي نظامه . . المدخل الرابع للفلسفة الى العمل الادبي هو أن الاديب أو خالق العمل الفني يتأثر بالثقافة الفلسفية ، وهنا تؤثر الفلسفة في العمل تأثيراً غير مباشر ولكنها تعطيه ثراء محسوسا . .

### دكتور بدوي :

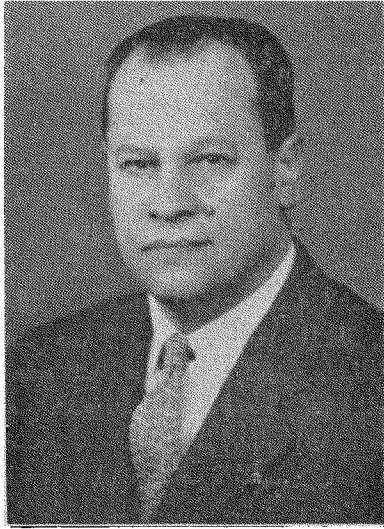
هذا تحديد ممتاز للمداخل التي تدخل منها الفلسفة

(( من الطبيعي ان تتناول هذه الندوة اولا مفهوم العلاقة بين كل من الادب والفلسفة : ما معنى هذه العلاقة ؟ وما حدودها ؟ وما الطريق الى تقويمها ؟ ثم استعراضا عاما لاهم التيارات الفلسفية السائدة في عالم اليوم ، وصداها في الادب العالمي بصفة عامة ، ثم تقويم ادبنا العربي المعاصر في ضوء هذه النظرة ، بكل ما تتطلبه من عرض للظاهرة ، وتبريرها ثم محاولة التنبؤ بمستقبل هذه التيارات في واقعنا العربي ، ومدى انسجامها مع حقيقة الانسان العربي ، والادب العربي ، في هذه الحقبة من التاريخ )) .  
ويشترك في البحث الدكتور لويس عوض والاستاذ نجيب محفوظ والدكتور عبد الرحمن بدوي . وها هو الاستاذ نجيب محفوظ يحدد لنا اولا مفهوم هذه العلاقة بين الادب والفلسفة :

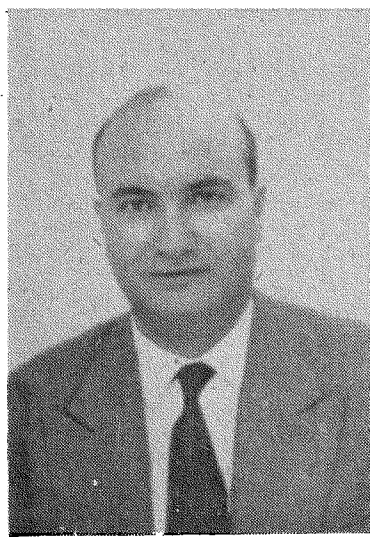
### الاستاذ نجيب :

اعتقد أن الفلسفة يمكن ان تدخل الى الادب من اكثر من سبيل . .

فهي قد تدخل الى العمل الادبي اولا عن طريق مضمونه ، بمعنى ان تكون للعمل الادبي فكرة فلسفية ، فيكون عملا فلسفيا قبل كل شيء . . ومثال ذلك روايتنا كامي : الغريب والطاعون ومسرحيات سارتر من الادب الوجودي



الاستاذ نجيب محفوظ



الدكتور عبد الرحمن بدوي



الدكتور لويس عوض

## دكتور لويس :

ان ما قيل في هذه النقطة - اقصد علاقة الادب بالفلسفة - فيه الكفاية . ولكن لي بعض الملاحظات البسيطة من تجربتي مع انواع الادب المختلفة ، فانا افرق بين نوعين من الادب : الادب النقدي والادب الخالق . . . وانا اوافق الدكتور بدوي على ما قاله من ضرورة وجود استناد فلسفي من نوع معين وراء كل عمل ادبي ضخم . . . ولكن المشكلة هي تعريف معنى هذا الاستناد وحدوده . . . اعتقد - بالنسبة للادب النقدي - انه من الجائز من صاحبه ان يصطنع موقف الفيلسوف ، اما الادب الخلاق ، فعمل من شروطه الاساسية ان يخلو من الاعتماد على مذهب فلسفي واضح ، وانما دخول الفلسفة في الادب والفن لا يكون الا بمثابة تحويل الفكرة الفلسفية الى عقيدة او فكرة دينية او الى ما يشبه التصوف . . .

والمثل الوحيد الخي الذي تحولت فيه الفلسفة الى فن وشعر هو العصر الروماني ، بعد ان مرت مرحلة العاصفة والاندفاع ، والتزم الرومانسيون فكرة وحدة الوجود التي ورثوها عن « سبينوزا » . . . ولكنها انتقلت من طور الاحكام الفلسفية والقضايا المنطقية كما نرى في الاخلاق عند سبينوزا الى عقيدة شعرية . . . فمذهب « الحلول » بعد ان تحول الى مضمون شعري وفني اصبح مختلفا تماما عن العقيدة الفلسفية لدى سبينوزا ، بالرغم من انه - لدى الناقد والمؤرخ والاديب - تلتقي هذه المذاهب في اصل واحد . . . وربما نبعت من اصل واحد . وفي عصرنا الحديث مذاهب كثيرة تصارعت على المستوى النظري ، وقد تآثر الادباء بالطبع بنتائج هذا الصراع ، ونحن نجد ان الكاتب الذي يتحمل مسؤولية العصمة عادة تام النمو . . . فبعضهم جذبته الفلسفة الماركسية ، درسها عند ماركس وانجلز ، وربما أوغل في اصولها الجدلية عند هيغل ، ولكنني لا اعتقد ان هناك فنا يمكنه التعبير عن هذه الفلسفة بمعناها التقليدي ذي الاركان المحددة والمبوبة . . .

فلا بد للفنان اذن من عملية تحول ، عملية كيميائية بتعبير البيوت ، تتحول عن طريقها العقيدة النظرية الى تحولات روحية ، وقبل حدوث هذا التحول لا مجال للفلسفة في الخلق الفني . بل ان الفنان سيفشل فنيا وان كان قد نجح كفيلسوف . . .

واذا تبعنا المدارس الرئيسية في الفلسفة ، التي كان لها تعبير أو آثار في الادب والفن لوجدنا انها تنقسم من حيث التاريخ الى مدرسة المنهج العلمي ، ومن التعبيرات المباشرة عنها في انجلترا ادب هـ.ج. ولز ، الذي خصص عامة ادبه لانتاج القصص العلمي . . . وامثال ولز كثيرون . . . من الناحية التاريخية ايضا ، نجد ان الماركسية زحفت على الادب الغربي . وبالرغم من انها لم تثمر كثيرا في انجلترا الا انها انتجت صدعا فيها او ثورة عليها ظهر فيما يسمى بالاشتراكية الفابية او التدريجية او الديموقراطية . وتبلورت في ادب شعر ومجموعة الكتاب الفايين الذين حاولوا تصوير الفلسفة الاشتراكية على اساس تطوري وليس على اساس العنف . . .

ثم نتج عن الحرب العالمية الاولى احساس بالكارثة العنيفة التي تتهدد البشرية وبالطوفان الذي يغمر الانسانية ، ان أعلن بعض المفكرين والشعراء الذين لا يريدون التخلي أو التنازل عن بعض القيم التقليدية - افلاس الحضارة

الى العمل الادبي . . . ولكنني اذهب الى ابعد من هذا بكثير فأرى انه لا قيمة لاي عمل ادبي ما لم يكن وراءه مذهب فلسفي معين ، فكبار الادباء وراءهم دائما مذهب في الوجود ونظرة عامة في المجتمع أو الحياة ، بل مذهب ميتافيزيقي كامل يصدر عن مؤلفاتهم الادبية . . . وسأحاول هنا أن ادلل على هذه القضية ببعض النماذج من الادبين الالماني والفرنسي - اللذين أحسنهما أكثر من غيرهما . . .

فتوماس مان تأثر أولا بشوبنهاور ثم بنيتشه ثم بالنزعات العلمية التي سادت القرن الماضي ، وكانت النزعة التأثرية التي يندرج تحتها ادبه متأثرة بهذه النزعات العلمية . ففي روايته مثلا مولدين بروك التي حاز بها على جائزة نوبل - نجد ان الشخصية الرئيسية في الرواية يقرأ قبل وفاته صفحات من الفصول التي كتبها شوبنهاور عن الموت . والمؤلف هنا يريدنا نحن القراء أن ننظر الى بطل الرواية على أنه يصدر في أعماله الخاصة نتيجة للتأثر بهذا الفيلسوف . . .

ثم هو متأثر بفاجنر . . . وما موسيقى فاجنر الا تجسد صوتي نغمي لفلسفة شوبنهاور . . . وكذلك هو في قصصه اخوة يونسف ويعقوب وأولاده ، نجد فلسفته الكاملة في الحياة تظهر بكل قوتها . . . ومن الافكار الرئيسية في أعمال توماس مان فكرة التكرار التي اخذها عن « كير كجورد » وهذه الفكرة : فكرة التكرار أو العدد تشغل الكثير من تفكير توماس مان وقصصه . الشاعر ريلكه الفيا ، في كل شعره خاصة في اغان « لاورموس » وفي « الايليجيات » يصدر عن فلسفة كاملة مأخوذة عن كير كجورد ، وكل النقاد الذين كتبوا عنه نظروا الى شعره مبتدئين بهذه الفلسفة . . .

كذلك فان شاعرا ك ت.س. البيوت متأثر كل التأثر بالفلسفة الكاثوليكية حيناً ، وبالاساطير اليونانية في فكرتها العامة حيناً آخر . . . ففكرة النار والماء تلعب دوراً مشهوراً خاصة في قصيدته « الأرض الخراب » .

وسارتر في غنى عن أي بيان ، فكل أعماله الادبية تعود الى مبادئ عامة في الفلسفة الوجودية . . . في قصته « الغيبان » مثلا . . . نرى الانسان تمتد به الحياة الى غير غاية ويموت بالصدفة . وكذلك كامو في رواياته وفي مسرحه الضئيل ، يرجع الى مبادئ عامة في الفلسفة الوجودية . . .

وما نريد تأكيده اذن : ان العمل الادبي ايا كان - قصيدة أو قصة أو مسرحية - لا بد له ان يكون متأثراً بفلسفة معينة ، وان تكون ( خلفيته ) قائمة على فلسفة معينة . . . فالعمل الادبي كما يقول توماس مان كالمذهب الفلسفي . . . في احكامه وبنياته ، كذلك فان عملية الاحكام الفني التي يقوم بها الفنان تشبه انشاء المذهب الفلسفي ، فهو يعبر عما لا يستطيع العقل المنطقي التعبير عنه . وفي ضوء هذه النظرة ، فان ما اخذه على ادبنا المعاصر هو خلوه تماما من هذه الناحية ، فمعظم ادبنا المعاصر يصدر عن فكرة سخيفة خاطئة تقول بان الادب يجب الا تدخله الفلسفة ، وهذا من سوء الفهم الكامل الذي اثر في ادبنا المعاصر تأثراً ضاراً . . . فانا لا افهم ان يكون العمل الادبي دون ان يكون وراءه - ولن اشترط هنا مذهباً فيه احكام ومنطلق خاص - وانما نوع من النظرة الشاملة العامة في الوجود والحياة يصدر عنها الاديب في كل ما يؤلفه . . .

## ندوة الاداب

- تمة المنشور على الصفحة ٦ -

والرجوع الى العصور الوسطى ، ف جذبهم فكر القديس توماس الاكوينى والكاردينال نيومان وادهالهما ، ودرسوا كثيرا في الكاثوليكية والرجعة الى الوراء ، ولم يكن لافلاس الحضاره في رأيهم من حل الا الايمان على الطريقه الكاثوليكية ، ولكن هناك فرق بين اليوت وتوماس الاكوينى .. فالیوت نسیج شعره اقرب الى الحالات التهجدية منه الى النسيج الفكري الفلسفي ..

ومن التيارات المهمة في القرن العشرين - نتيجة للثورة العلمية - تيار الاحتجاج على العلم ، وكان مظهره في اكتشاف اللاوعي بنوعيه ، اللاوعي الفردي عند فرويد ولاوعي المجموع عند يونج ، وكذلك سائر المذاهب الفلسفية التي تحتج على تمدد العلم والعقل وسيطرته ، والمنسادة بالرجوع الى منابع الفطرة الاولى من الشخصية الإنسانية ...

وآخر مدرسة فلسفية ذات حيز كبير هي المدرسة الوجودية التي ربما ظهرت كنتيجة للاحساس باليأس ، أو بان الانسان حبيس ، احيائها الفرنسيون بعد ان احدوها عن الفكر الالمانى واعطوها لوحة خاصة ، وحاولوا ان يحلوا بها ازمة الانسان .. وهي ممثلة سواء في الفكر الكاثوليكي كما نجدها عند جابريل مارسيل ، او الفكر الدنيوي كما نجدها عند سارتر وكامي .. وهؤلاء جميعا ليسوا متطابقين في تفكيرهم الوجودي .. فلكل منهم فكرته الخاصة عن الوجودية وادبه يعبر عنها الى حد ما .. والذي اريد اللاحاح عليه - اذن - هو انه قبل ان يصل الفكر الفلسفي الى مرحلة الخلق الفني لا بد ان يتحول هذا الفكر الى ترسبات روحية اولا ..

### دكتور بدوي :

انا متفق مع الدكتور لويس فيما قاله من ان الادب ليس من مهمته ان يكون مجرد تعبير او دعوى لمذهب فلسفي ، والا انتقل الى نوع من الادب التعليمي الخالص ، فمثلا شعر لوكريتيوس في الادب اليوناني الذي وضع مذهب ابيفورس في صيغته شعرية لم يكن شعرا بالمعنى الحقيقي بل تغلبت المناحية التعليمية على الفنية الخالصة لديه . وعندما يأخذ الشاعر الاتجاه التعليمي او شبه التعليمي فهو في الواقع يخدع فنه وقد يخونه بعض الخيانة ..

ولكن الذي لا أستطيع ان اوافق الدكتور لويس عليه هو ما يتصل بالعملية التي تتم ، فالدكتور لويس يرى انها عملية ترسبات ، ولكني ارى ان هذا اضعاف شديد للتأثير الذي نتحدث عنه ، فالمسألة ليست عملية مستثناة مستكنة في اللاوعي ، ولكن الفنان يجب ان يكون واعيا تمام الوعي بأنه انما ينشئ في الوقت نفسه مذهباً في الوجود ونظرة في الحياة وان لم يكن يصوغه في الصيغ الفلسفية المتعارف عليها في الكتابات الفلسفية .. الدكتور لويس ذكر مثلاً الرومانسية . الرومانتيك الالمان مثل نوفالس أو هيلدرلين أوضحو هذا في كل شعرهم وفي الكتابات القليلة التي

كتبوها فيما بين القصة والشعر .. فقد تأثروا بايكارت وجاكوب بميه وأثارة ضئيلة من مذهب سبينوزا ، ولكن الغلاف العام الذي وضع فيه هذا التعبير هو الغلاف الفلسفي لنوع من وحدة الوجود الفاضلة المطلقة التي دخلت فيها هذه الافكار .

لكن المهم ان كلا من هؤلاء الشعراء كان شاعرا تمام الشعور بانه صاحب مذهب معين في الوجود وأن شعره وفنه تعبير - بلغة الفن - عن هذا المذهب ، وليست المسألة مسألة تأثر برواسب قليلة ماضية كبعض العوامل اللاشعورية الناتجة عن البيئة أو الوراثة .. وغيرها .. فهذا اضعاف شديد لما قلناه من قبل ، من ان الفلسفة تدخل في العمل الفني كخلفية ظاهرة واضحة مشعور بها تمام الشعور لدى الفنان ، ويجب ان يعي الفنان - عند خلق العمل الفني - انه يخلق عالماً خاصاً يصنع له ككل الصورة الممكنة التي يراها كمفكر له نظرته في الحياة والوجود .

### الاستاذ نجيب :

الدكتور لويس قال اكثر من هذا .. فهو ينصح الاديب الخالق بالابتعاد عن الفلسفة .

### دكتور لويس :

لا .. ليس بهذه الصورة ..

### دكتور بدوي :

في الواقع الدكتور لويس بدأ برأي ، وانتهى بعكسه تماما ..

### الاستاذ نجيب :

في الواقع ، لا مهرب من الفلسفة ..

### دكتور بدوي :

.. وشعور الاديب بانه يضع مذهباً معيناً ..

### دكتور لويس :

يوم يحس الاديب الخالق انه يكتب فلسفة او يهدف الى اثبات وجهة نظر ، فهذا ينتقص من فنه ..

### دكتور بدوي :

تقصد الالتزام ..

### الاستاذ نجيب :

العبرة بالتنفيذ . فحتى لو كان الاديب شاعراً وهو يكتب بانه يحقق فلسفة بلغة أخرى كما يقول الدكتور بدوي ، فانه يمكنه ان ينتج عملاً فنياً صالحاً تماماً - والمثل على هذا مسرحيات سارتر وكامي ، فمن الممكن للقارئ الذي لا يلم بالفلسفة الوجودية، ان يرى من هذه المسرحيات فناً صحيحاً ناضجاً ..

والدرجة الاخرى - التي يخشى منها الدكتور لويس - نجدها عند سيمون دي بوفوار .. فالافسواه

اللامجدية غير مسرحيات سارتر بالرغم من أن هذه وتلك تعبر عن شيء واحد ، ذلك لان في مسرحيات سارتر فنية واحكامه ومنطق بنائه الفني الاصيل ..

وهناك أيضا شولوخوف - وهو اديب شيوعي اشتراكي وتطقي أيضا ، في ذلك شك - ولكن روايته « النهر الهادي » تفق الى جانب أعمال تولستوي ودوستويفسكي بالرغم من أن هناك عشرات من الكتاب الشيوعيين نفر من ادبهم لانه تعليمي لا روح فيه .. فالعبرة اذن بالتنفيذ .. ومن الناحية العامة لا مهرب من الفلسفة .. والاديب لا بد له أن يتأثر بطريقة ما ..

وإذا تأملنا أيضا دعوة روسو والمذهب الرومانسي ، وفي القرن العشرين لو نظرنا الى فلسفة برجسون وفرويد والنزعة العلمية والى بونكاريه وبروست وجويس ، حتى الاديب الذي لا يريد الخضوع لاية فلسفة كانتول فرانس يخرج في النهاية في فلسفة شكية .. فلا مهرب من الفلسفة ، بل لو أننا انتزعنا « الباكجروند » الفلسفي من العمل الادبي لم تصبح له أية قيمة .. حقيقية ..

### دكتور بدوي :

فعلا أحسنت بذكر مارسيل بروست .. لان انتاجه يظهر للقارئ كأنه أدب صرف .. ومع ذلك لا يمكن أن يفهم أبدا في معظمه الا اذا أخذنا بنظرية برجسون في الذاكرة والزمان ..

### دكتور لويس :

يبدو أننا مختلفون على مفهوم الادب ذاته وليس على مفهوم العلاقة بين الادب والفلسفة .. انا لا اغض من اهمية الفلسفة في العمل الادبي ، كل ما اقوله أنني أنفي أن الاديب - في عملية الخلق الفني - يريد أن يثبت شيئا .. والفرق بين الاديب والفيلسوف أن الاديب يفترض فلسفة ولا يستنتجها ، أي لا يحاول اثباتها .. فنظرية العودة الى الطبيعة مثلا هي مجموعة من المسلمات عند كاتب ك.ه.د. لورانس ولكن من حيث انه يحاول اثبات العودة الى الطبيعة اسميه فيلسوفا .. وليس فنانا ..

\*\*\*

« الدكتور لويس أوضح - في النهاية - أن الخلاف قائم على مفهوم الادب وليس على مفهوم العلاقة بين الادب والفلسفة، واذن فهناك اتفاق عام حول جوهرية هذه العلاقة وان كان كل من المتناظرين يرى لها ابعادا ومظاهر مختلفة بعض الاختلاف عن زميله - في بداية الندوة هاجم الدكتور بدوي ادبنا المعاصر على أساس أنه يفترق الى هذه التيارات الفلسفية - ويبدو أن للاستاذ نجيب رأيا مخالفا ..

\*\*\*

### الاستاذ نجيب :

في مجال الرد على الدكتور بدوي أقول ان أدبنا لا يخلو من خلفية فلسفية ، بل ان من الصعب أن نجد أدبا معاصرا ليس وراءه نوع من الفلسفة ، وعلى ضوء التقسيم الذي اتبعته في أول الأمر .. فمثلا الادب الذي يحتوي

على مضمون أو فكرة فلسفية وجد لدينا في السنوات القليلة الماضية ، بل ان الدكتور بدوي ذاته كان له أثر فيه .. وهو الادب الوجودي .. وأضرب مثلا على ذلك المجموعة القصصية « حيطان عالية » لادوارد الخراط . فمضمونها في الغالب وجودي وان كان الشكل تعبيري ، وكذلك مسرحية « الآخر » لعبد العزيز السيد ، وربما كان اسمها يدل على ذلك ، ومسرحية أخرى للاستاذ أحمد عثمان لا أذكر اسمها الان - المهم ان لدينا الان بذور ادب وجودي صريح ..

كذلك في ادبنا المعاصر أدب صوفي ، والصوفية من الممكن اعتبارها فلسفة على أساس انها نظرة عامة للكون والوجود ، ولو أن المنهج غير فلسفي .. كما يتضح ذلك مثلا عند جبران خليل جبران ، ميخائيل نعيمة ونسيب عريضة .. فان في ادبهم أفكارا صوفية أساسية هي التي تسيطر على انتاجهم كله ..

وبالنسبة للادب الذي دخلته الفلسفة عن طريق شخصياته المسرح الذهني عند توفيق الحكيم ، فواضح فيه أن المسرحيات تقوم على أفكار فلسفية ، وكنت أود أن ادرسها جملة ، لارى هل يستند الحكيم في جملته الى فلسفة معينة ؟

ففي « أهل الكهف » يعالج فكرة الزمان ، وفي « شهرزاد » نسبية الحقيقة وفسي « أوديب » موقف الانسان أمام الحقيقة .. وربما كان الدكتور لويس عوض قد درس هذه النقطة فيوضحها لنا ..

وفي شعر العقاد أفكار فلسفية كثيرة خاصة في قصيدته « الشيطان » وربما كان وراءها - الى حد ما - شيء من فلسفة نيتشه ..

كذلك فان تشاؤم المازاني على فترته : الأولى التي كان تشاؤمه فيها متوجها ، والثانية التي كان تشاؤمه فيها باسماء ومسلما ، وراءه شيء من شوبنهاور في تشاؤمه وفي النيرفانا لديه وفي التسليم في النهاية .. بل ان المازاني كتب عن شوبنهاور كتابة مباشرة وعقد فصولا في المقارنة بينه وبين أبي العلاء المعري .

أما النوع الثالث الذي تتمثل الفلسفة لديه في الخطة الفنية للعمل الادبي فلن أضرب الامثال عليه لكثرتها ، فأبناء الجيل الثالث من الادباء الذين يمثلون الواقعية الاشتراكية يعكسون في انتاجهم الفلسفة المادية الاشتراكية ..

فالواقع أن وراء ادبنا المعاصر - هنا في مصر أو في البلاد العربية - فلسفات .. والى جانب الفلسفة الاشتراكية ، ظهرت الوجودية ، والرومانسية أيضا ابتداء من المنفلوطي .. والتي ترجع الى روسو والعودة الى الطبيعة ، ولها نفس سمات الادب الرومانسي العالمي في نشأته وفي تطوره .

وحتى في النقد ، نجد أن الدكتور طه حسين كناقد وراءه فلسفة ديكارت وطريقته في الشك المنهجي ، ولو أننا نجد في قصة « الايام » رومانسيا مؤمنا بالانسان والحب والتعاون ، أي مبادئ فلسفة الرجوع الى الطبيعة والقطرة السليمة .. الخ. فأدبنا في الواقع لا يخلو أيضا من الفلسفة ، والجزء الذي يخلو منها خلوا تاما .. ليس ادبا كما يجب ..

## دكتور لويس :

المدرسة الوجودية وان كانت لم تظهر في الادب الانشائي كما ظهرت في النقد لدى مفكرين أمثال الدكتور بدوي وتلميذه الأستاذ أنيس منصور ، والدكتور محمد القصاص ، والدكتور مصطفى محمود .. وربما كان هذا أقربهم الى تحقيق الفكرة الوجودية كفنانون منه كمفكر ..

ثم هناك سلامة موسى ، وواضح جدا أن الفكرة الاشتراكية الفابية جذبت له لدرجة انه طورها ، أي انه درس الماركسية ثم ثار عليها وانحرف عنها وجذبته جورج برناردشو وجماعته فعاش فيهم ثلاثين عاما .. واتضح تأثيره هذا في فكره لا في فنه .. فليس له نتاج فني ..

هذه هي اهم الخطوط العامة للفلسفات الحديثة .. وكيف تآثر بها الفكر الحديث في مصر ..

## دكتور بدوي :

لكي أوضح الفكرة التي بدأت منها ، أقرر ما قررتنه من قبل ، وهو ان التآثر بمذهب فلسفي أو وضع مذهب فلسفي أو على الأقل خلفية فلسفية ، يجب ان يكون الفنان شاعرا به وواعيا تمام الوعي .. وعلى هذا الاساس يجب ان يكون له مذهب متماسك نراه « كالخيوط الحريري » على الأقل كما يقال في البحرية الانجليزية - الخيط الحريري الاحمر - الذي يوجد في جميع حبال مركب البحرية الانجليزية .. هذا الخيط يجب ان يوجد في كل ما ينتجه الفنان ..

والواقع أنني أخالف تمام المخالفة كل من يذهب الى القول بان أدب الحكيم أدب ذهني أو أدب فلسفي أو وراءه أية فلسفة ، لانه لا توجد فكرة مترابطة في جميع رواياته تكون بمثابة النقطة الحادية لكل هذا الإنتاج ، بحيث نستطيع ان نستخلص من مجموعة أعماله - بل وحتى كتاباته - وتذكراته الشخصية - ما يدل على تصور خاص في الكون أو الحياة أو الوجود ، أو الوقوف موقفا معينا ..

ونكاد نقطع بأنه في كل عمل من أعماله يتخذ موقفا معينا ، فهو يتبع « المودة » السائدة في وقت ما في أي أدب ، ويحاولها في العمل الذي يكتبه في الوقت الذي يكون فيه هذا المذهب معتبرا بدعا سائدا أو « مودة » .. ولكن ليس في أدبه نوع من المذهب الفلسفي أو التيار الواضح بل لا أستطيع ان أقول ان هناك خلفية فلسفية .

خذ مثلا أهل الكهف - فكرة الزمان فيها : فكرة بسيطة عادية ، أي هي من الذين تأثروا بفكرة الزمان سواء من « برجسون » مثل بروسست أو سارتر فيما يتصل بوجودية هيدجر .. فهي أفكار بسيطة أولية ساذجة لا يمكن أن ترقى الى مجرد التفكير العميق ، ولا يمكن أن ندرجها أبدا بأي معنى من المعاني في فكر فلسفي أو شبه فلسفي .

كذلك فكرة الادب الذهني ، ويقصد به في هذه الحالة الادب الخالي من الحركة ، ولا أفهم أبدا أن كلمة ذهن تعني أكثر من هذا بالنسبة لادب الحكيم ، أي أنه أدب لا يمثل على المسرح لانه خال من الحركة خال من الأحداث وبالتالي لا يمكن أن يصور مسرحيا بالمعنى الحقيقي لكلمة مسرح ، ففي مسرح فلسفي واضح كمسرح سارتر نجد الحركة قوية عنيفة من البداية للنهائة الا في حالة واحدة ،

الأمثلة التي ذكرها الأستاذ نجيب ، فيها أمثلة متماسكة مثل توفيق الحكيم ومسرحه الذهني ، ومحاويلته التعبير عن فلسفة معينة سواء بالنسبة للأشياء أو الزمن ، ولكن بالنسبة للحكيم بالذات ، لا أستطيع تبويبه في فلسفة معينة ، الا التي أعلنها هو وهي التعادلية ، وأنا غير مقتنع بجديتها كنظام فلسفي يمكن ان يحل لنا مشاكل الحياة والموت والابدية كما يقولون ..

أما قصيدة الشيطان للعقاد فهي موقف شعري أكثر من كونها أي شيء آخر . وأيضا بعض النماذج الأخرى التي ساقها الأستاذ نجيب تدخل في باب الموقف الشعري . ولكن اشارته للفلسفة الوجودية وتغلغلها في الفكر العربي الحديث ، أو للواقعية الاشتراكية وتغلغلها في مدارس القصة العربية الحديثة ، فاعتقد أن لها سندا تاريخيا وفلسفيا .

وأدبنا العربي الحديث في مصر - على الأقل من ناحية الفكر والنقد - كان دائما يعبر عن اعتناقات فلسفيه ، فمنذ رفاعة الطهطاوي نستطيع ان نرى بوضوح أن هذا الرجل قد قرأ الفكر الليبرالي الاوروبي وتأثر به ، لدرجة انه فهم مضمونه السياسي والاجتماعي وسأثر مضموناته .. وفي أواخر القرن التاسع عشر نجد قاسم أمين ، وفي أوائل القرن العشرين نجد لطفي السيد ، ونرى تأثيرا واضحا بالفلسفة النفعية ، والفلسفة الليبرالية بوجه عام .. وواضح من كتابات هؤلاء أنهم درسوا جون ستيوارت ميل وبنسن الاب والابن ، أي أنهم كانوا يتقنون الفلسفة الليبرالية في أصولها ..

وأي قارئ لطفه حسين يحس بتبعيته لمنهج ديكرت في الفلسفة ، وقد أشار هو الى هذا في أكثر من موضع ، ولكن المهم ليس فقط في اشارته وإنما في تطبيقه .. لقد تغلغل في الديكارتية لدرجة انه ابتداء يعيد تقويم الادب العربي على اساس الشك فيه ..

أما بالنسبة للعقاد ، فالحقيقة أن تبويبه صعب ، لانه بالرغم أن ثقافته الاجنبية هي الانجليزية ، الا أن أقرب شيء اليه هو - في رأيي - الفلسفة الألمانية .. ولست بقادر على تحليل هذه الظاهرة لدى العقاد .

## الأستاذ نجيب :

المدرسة الانجليزية تأثرت بالمدرسة الألمانية .

## دكتور لويس :

لقد تخير من المدارس الانجليزية كلها ما هو الماني . أو بمعنى آخر ، لقد لاحظت أن الاثر الوحيد المتبقي في فكره من كل كتاباته هو الفكرة الكانتية عن المطلقات ثم الفكرة المتعالية لدى كارليل ومجموعته .. فالعصر الوحيد الدائم ذو الطابع الفلسفي فيه هو ما أخذه عن الفكر الألماني ، حتى فكرته عن الحرية ، بعيدة جدا عن الفكرة الانجليزية عن الحرية ، وهي أقرب شيء للحرية المطلقة لدى الألمان ..

هذا بالنسبة للجيل القديم ، أما الجيل الجديد فقد وضع تأثيره سواء بالمدرسة الاشتراكية الواقعية التي تستند في الاصل الى أسس فلسفية - مادية جدلية - أو

يمكن من ورائه ان نستخلص افكارا متماسكة مترابطة من هذا الضباب التام الذي يعيش فيه جبران ، وفيما عدا هذا فهو مخلص تمام الاخلاص لمذهبه ، حتى في صورته ، وفي كل قطعة الانشائية وفي قصصه التي كتبها عن سلمى وما اليها .. وما ينقصه فعلا هو التحليل الفكري الواضح والاتجاه نحو معالجة بعض المسائل الحية بخلاف المسائل البسيطة كالزوجية وما اليها مما انساق اليه جبران .

فلو انه استشراف المسائل الرئيسية في الحياة والوجود ، بطريقة اجلى واظهر ، لكان جبران بالفعل المثل الوحيد المنفرد في ادبنا المعاصر بهذا اللون ، ولكنه اقترب منه قدر المستطاع ، وله هذا الفضل في ادبنا المعاصر .

★

« في مجال التنبؤ بمستقبل هذه التيارات الفلسفية ، أي هذه التيارات أكثر التصاقا بهوم الانسان العربي المعاصر ، وأكثر دلالة على روح العصر في أرضنا وتاريخنا ؟ » .

★

### دكتور بدوي :

مسألة التنبؤ في الواقع ستفرقنا شيئا - لان لكل منا اتجاهه الخاص . فأنا سأتنبأ للادب الوجودي والدكتور لويس للادب الاشتراكي .. و ..

### دكتور لويس :

ابدا .. أنا أنبأ بشيء غريب جدا لا يتصوره أحد .. أنا أتصور أننا الآن في البوتقة .. وبلادنا تمر في عملية انصهار ..

### الاستاذ نجيب :

بوتقة اشتراكية ..

### دكتور لويس :

إذا كان ولا بد فهناك احياء رومانسي وذلك نتيجة لتعدد الآثار الرومانسية التي ظهرت في السنوات الاخيرة ، واختفاء المدارس الواقعية الاشتراكية .. فهناك اذن حالة تمدد رومانسي ... ولكن بالرغم من ذلك لا يوجد هناك ضمان لشيء محدد واضح ..

### الاستاذ نجيب :

اعتقد ان المستقبل هو للتوفيق بين الاشتراكية والعقيدة الدينية .. او بين الوجودية والاشتراكية .

### دكتور بدوي :

هذه النعمة من التوفيق التي انتهى اليها الاستاذ نجيب تكفي للتوصل الى نتيجة مرضية للجميع .

هي مسرحية « الجلسة السرية » لانها تدور في الجحيم ، فم يكن بها مجال للحركة للاساس الفلسفي الموجود فيسي هذه الحالة وهو ان الجحيم لا يندرج عليه زمان او مكان .. ولكن في مسرحيات اخرى ناشيطان والرحمن نجد ان الحره تشتمل وتدفع كل المسرحية من اولها الى اخرها ، والاحداث عارمه وفويه ومتفاعله .

فهذا المسرح - ولو انه مسرح فلسفي خالص - الا انه غير المسرح الذهني اي المسرح الذي لا يمكن ان يمثل ، لانه يخلو من الشرط الاساسي في العمل المسرحي وهو الحركة ..

كذلك ما ذكر عن تائر العقاد او المازني أو فلان وفلان من اثار ضئيلة واصداء بعيدة من فلسفات اخرى ، فانه لا يتمثل في ادبهم كمذهب عام .. وأنا هنا أتحدث عن ادبهم الانشائي لانه هو المقصود اما ادب المقالة ( ككتابته المازني مثلا عن شوبنهاور ) فلا شأن له مطلقا بهذا السدي نتحدث فيه ..

ولم اجد هذا اللون من الادب الفلسفي او الفلسفة التي يجب ان توجد في العمل الادبي الا في الادب السدي ينتج بعض الشبان الان ، وفي الواقع الامثلة التي ذكرها الاستاذ نجيب نجد فيها هذه التيارات واضحة ، ولكنها لم تتبلور بحيث تكون شخصيات ادبية لها استقرارها ولها المكانة الخاصة التي نستطيع القول فيها : ها هنا ادب له اساس فلسفي واضح .. اما اقول انها جميعا محاولات قوية وعملية ، ومحاولة لتلافي هذا النقص في ادب الجيل القديم الخالي من كل اساس فلسفي ، فباستثناء هذه المحاولات الوجودية والاشتراكية - او ادب الالتزام عامة - بشرط الا تنحدر الى المستوى التعليمي الذي نجده للاسف في كثير من انتاج هؤلاء بحيث انه يفتقر احيانا الى النسيج الحي للعمل الادبي ، اقول باستثناء هذه المحاولات ( الاولى ) لا نستطيع ان نقول ان وراء الادب الذي استقر حتى الآن ورسخ عمود اصحابه فلسفة بالمعنى السدي اوضحنا من قبل ..

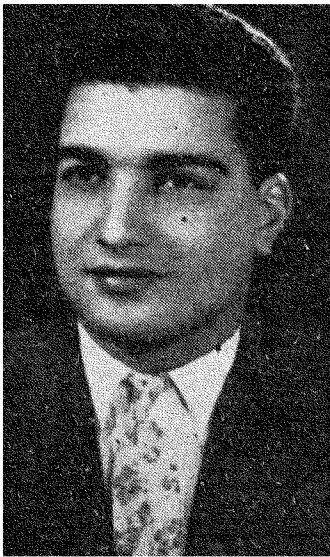
### دكتور لويس :

لنعد الى جبران فهو قد اخذ الموقف فقط - موقف الوجدان - أي ادراك الكون بالوجدان ، لقد اخذ هذا الموقف الرومانسي المتطرف ، واصطنعه ، واطل من هذه النافذة على كل شيء .. والذي يذكر له بالفضل انه كان يبدي اصرارا شديدا في هذا الاتجاه لدرجة انه لون كيل انتاجه وانتاج المدرسة التي تليه .. المدرسة الرومانسية التي تمثلت في الشابي وناجي وكل جماعة ابولو .. واذا كانت لجبران قيمة في الادب العربي فهي هذه .. أنا لا أحب ادب جبران ولكني أحترم اخلاصه ، وصلابته التي جعلته طول حياته يتمثل موقفا شعريا معينا دون ان تكون لديه قدرة عقلية لابتكار شيء من عنده أو اخذ شيء من غيره ..

ولكن الحصيلة النهائية أن هناك موقفا شعريا فلسفيا رومانسيا غامضا خلاصته انه ينظر للكون من خلال الوجدان ..

### دكتور بدوي :

فعلا .. جبران يمثل الاخلاص لمبدأ واحد ومذهب واحد ، ولكن ما ينقص جبران هو الوضوح الذهني الذي



فاروق شوشه

القاهرة